

أمثال القرآن

[518] (فَا نطَلَقُوا وَهُم يَتَخَفَتُونَ * أُنْ لَا يَدْخُلَنَّهُا الْيَوْمَ عِلَٰيْكُم مَّسْكِينٌ * وَغَدَوَا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ). أيقظ أحدهم الآخر بإيجاد ضوضاء ، لكنهم خرجوا ببطء ودون إيجاد أي صوت ودون أن يتكلموا ، وإذا أرادوا مبادلة الكلام همس أحدهم في إذن الآخر ، وما كان كلامهم إلاَّ تحذير أحدهم الآخر من أن يطلَّع واحد من الفقراء على الموضوع . نعم ، كانوا قد قرروا أن يحولوا دون اطلاع الفقراء ، وأن يمنعوهم بقوة دون الوصول إلى الجنة ، ومن المحتمل أنَّهم وطَّفوا بعض الأقوياء ليمنعوا الفقراء عن دخول الجنة إذا ما اطَّلعوا رغم الإجراءات التي اتخذوها للحؤول دون اطلاعهم . (فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنْ زَالَا لَهَٰكُلُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ) بعد الاجراءات والاحتياطات التي قاموا بها وصلوا جنتهم وفقا لخطَّتهم ، لكنَّهم عندئذ تعجَّبوا حيث لم يعثروا على أثر للطراوة والخضار ، ولا نسيم ، ولا صوتاً للطيور ولا للقنوات ، ولا فاكهة ولا شجرة ، فلم يبقَ من الجنة غير الفحم والرماد ، عندئذ اعترفوا بخطأهم وأقرُّوا بصحة منهج والدهم واعتبروا أنفسهم ضالين . (قَالَ أَوْسَطُ هُمْ أَلَمَ أَقُولَ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ). يبدو أن واحداً من الاخوة كان أعقلهم ، وكان مخالفاً لهم منذ البداية وكان مصرّاً على العمل وفق نهج الوالد ، إلاَّ أنَّ إخوته كانوا يشكِّلون الأكثرية ، وهو الاقلية ، لذلك لم يكن لرأيه تأثير عليهم ، لكنه بعد ما شاهد - كاخوته - ما آلت إليه جنتهم قال لهم ما ورد في العبارة المتقدِّمة . (قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنا إِنْ زَالَا كُنْزُنا طَالَمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْدَهُمُ عِلَٰي بَعْضٍ يَتَلَوا مُونَ). كانت ملامة أخيهام بمثابة السوط الذي جلد ضميرهم وأيقظه من سبات الغفلة ، عندئذ جرى تقديس الله وتسبيحه على ألسنتهم ، وبدأوا يعترفون بأنَّهم ظالمون . إنَّهم ظلموا أنفسهم ، كما ظلموا الفقراء ، ثم أخذ أحدهم يلوم الآخر ، ويحمِّل أحدهم الآخر مسؤولية هذا العمل ، وهو سيرة المذنبين دائماً . نعم ، في الصباح الباكر كان أحدهم يوقظ الآخر بصوت عال ، وتحركوا باتجاه الجنَّة